منهج ابن كثير
في عرض قصص القرآن

Ibn Kathir's Approach to Presenting the Stories of the Qur'an

بحث من إعداد

م.د. أحمد رشيد فياض

Research prepared by:

Assoc. Prof. Dr. Ahmed Rashid Fayyad

07807157954

ahmedrashidfayad73@gmail.com

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 42
ISSN: 2225-9732

March 2026

ملخص البحث

يعتبر الإمام ابن كثير من أبرز المفسرين للقرآن الكريم، وقد اتبع منهجًا مميزًا في تفسيره لعرض قصص القرآن، وفي هذا البحث، سنناقش منهج ابن كثير في عرض قصص القرآن، وكيف أنه استخدم القرآن والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين في تفسيره.

وقد اشتمل هذا البحث (منهج ابن كثير في عرض قصص القرآن) على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

تناول المبحث الأول: معنى القصص القرآني وأنواعه وفوائده وأهدافه، واغراض القصص القرآني، وفيه ثلاثة مطالب: - المطلب الأول: معنى القصص القرآني لغة واصطلاحا وأنواعه. - المطلب الثاني: فوائد القصص القرآني وأهدافه. - المطلب الثالث: أغراض القصص القرآني.

وتناول المبحث الثاني: ابن كثير ومنهجه في عرض القصص القرآني، وفيه مطلبين: - المطلب الأول: التعريف بابن كثير. - المطلب الثاني: منهج ابن كثير في عرض القصص القرآني.

الخاتمة: وذكرت فيها بعض ما توصلت إليه من نتائج.

هذا وقد توصلت الدراسة إلى أن ابن كثير يتبع منهجًا مميزًا في تفسيره لعرض قصص القرآن، ويعتمد على الطرق التالية: - تفسير القرآن بالقرآن: يبدأ ابن كثير بتفسير الآيات القرآنية بالاستعانة بآيات أخرى من القرآن ذات الصلة، حيث يرى أن القرآن يفسر بعضه البعض. - الاستعانة بالسنة النبوية: إذا لم يجد تفسيرًا في القرآن، يلجأ ابن كثير إلى السنة النبوية الشريفة، حيث تعتبر السنة شارحة للقرآن وموضحة له. - أقوال الصحابة والتابعين: عند عدم وجود تفسير في القرآن والسنة، يرجع ابن كثير إلى أقوال الصحابة والتابعين، مثل مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس. - العناية بالأحاديث: يعتني ابن كثير بالأحاديث النبوية ويستعين بها في تفسير الآيات، مع التركيز على ذكر الأحاديث المسندة إلى أصحابها. - المناقشات الفقهية: يلاحظ ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عند تفسير آيات الأحكام. - موقفه من الإسرائيليات: يعارض ابن كثير الإسرائيليات في تفسيره، ويعتبرها غير مهمة إذا لم تكن لها فائدة في الدين أو الدنيا.

Abstract:

Imam Ibn Kathir is considered one of the most prominent exegetes of the Qur'an, and he adopted a distinctive methodology in presenting Qur'anic narratives. This study discusses Ibn Kathir's approach to Qur'anic stories, focusing on how he relied on the Qur'an itself, the Sunnah of the Prophet, and the statements of the Companions and their successors in his interpretation.

The research, entitled Ibn Kathir's Methodology in Presenting Qur'anic Narratives, consists of an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter examines the meaning, types, benefits, objectives, and purposes of Qur'anic narratives, and is divided into three sections: - The linguistic and terminological meaning of Qur'anic narratives and their types. - The benefits and objectives of Qur'anic narratives. - The purposes of Qur'anic narratives.

The second chapter explores Ibn Kathir and his methodology in presenting Qur'anic stories, and is divided into two sections: - A biographical overview of Ibn Kathir. - His methodology in presenting Qur'anic narratives.

The conclusion outlines the main findings of the study, which indicate that Ibn Kathir followed a unique approach in his interpretation of Qur'anic stories. His methodology can be summarized as follows:

• Interpreting the Qur'an by the Qur'an: Ibn Kathir begins by explaining verses through related passages from the Qur'an itself, as he believed the Qur'an clarifies itself.

• Using the Prophetic Sunnah: When an explanation cannot be found in the Qur'an, Ibn Kathir turns to the Sunnah, regarding it as an authoritative clarification of the Qur'an.

• Referring to the statements of the Companions and Successors: In the absence of evidence from the Qur'an and Sunnah, he relies on the interpretations of early scholars such as Mujahid ibn Jabr, Sa'id ibn Jubayr, and 'Ikrimah, the disciple of Ibn 'Abbas.

• Emphasis on Hadith: Ibn Kathir places great importance on the use of authentic

Hadith, often citing them with their full chains of transmission.

• Engaging in legal discussions: He frequently incorporates juristic debates, presenting the opinions of scholars and their evidence when interpreting verses of rulings.

• His stance on Isra'iliyyat (Judaic and Biblical reports): Ibn Kathir generally rejects Isra'iliyyat, considering them insignificant when they lack relevance to religion or worldly matters.

المقدمة

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم ولا تكلم لسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) كان أفصح الناس لسانا، وأوضحهم بيانا، ثم أما بعد:

إن قصص الانبياء موضوع جدير بأن يفرد بالعرض وأن ينال من العناية ما نالته السيرة النبوية، إذ أن تاريخ النبوة حلقات متصلة لابد من اكتمالها ومن وضوح صورتها في الاذهان لتقرر الحقيقة الانسانية والتاريخية ولتتجلى الحكمة التي قصد إليها القرآن الكريم من اهتمامه بإيراد هذا القصص في موضع بارز يهدف إلى وضوح العبرة وضرب المثل وإيجاز حركة التاريخ الانساني وبيان سنته من خلال عرضه لقصص الانبياء.

وقد كان لابن كثير في قصص الانبياء بلاء مشكور ومنهج حكيم استطاع به أن يقرب الصورة القرآنية لقصص الانبياء، وأن يعكس التصور الاسلامي لتاريخ النبوة وحياة المرسلين.

وقد حاولت في بحثي هذا تسليط الضوء على منهج ابن كثير في عرض القصص القرآني، وكذلك بيان معنى القصص القرآني، وأنواعه وفوائده وأهدافه، وأغراض القصص القرآني، وقد اشتمل هذا البحث (منهج ابن كثير في عرض قصص القرآن) على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

تناول المبحث الأول: معنى القصص القرآني وأنواعه وفوائده وأهدافه، واغراض القصص القرآني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى القصص القرآني لغة واصطلاحا وأنواعه.

المطلب الثاني: فوائد القصص القرآني وأهدافه. - المطلب الثالث: أغراض القصص القرآني.

وتناول المبحث الثاني: ابن كثير ومنهجه في عرض القصص القرآني، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بابن كثير.

المطلب الثاني: منهج ابن كثير في عرض القصص القرآني

الخاتمة: ذكرت فيها بعض ما توصلت إليه من نتائج.

فهذا جهد بشري، وقد بذلتُ فيه وسعي، واجتهدت فيه قدر طاقتي، ولستُ مدعياً أن صنيعي في بحثي هذا يصل إلى حد الكمال، كلا وحاشا، ولكني حاولتُ قدر إمكاني ووسع طاقتي أن يكون قريباً منه، فإن كنتُ قد أصبت فبتوفيق الله سبحانه وحده، وإن أخطأت فحسبي أنّي بشر

أجتهد فأخطأ وأصيب، وأسأل الله الإخلاص والقبول، وأن ينفعنا بالقرآن الكريم.

المبحث الأول: معنى القصص القرآني وأنواعه وفوائده وأهدافه، واغراض القصص القرآني:

لقد صرح القرآن الكريم بأنه يقص القصص الحق أي الثابت الواقع، فكان ذلك دلالة على أن ما جاء في هذا الكتاب الكريم تبيان لوقائع حدثت في غيب الماضي الذي اندثر علمه عن الناس، وكان هذا القصص وجها من أوجه إعجاز القرآن الدالة على أنه من عند الله تعالى.

وتمتاز القصة القرآنية بأنها تشد القارئ وتجذب انتباهه، فتجعله كثير التأمل في معانيها والتأثر بشخصياتها وموضوعاتها، كما أنها تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في أهم النماذج التي يتوخى القرآن إبرازها للإنسان، والقصة القرآنية تربي العواطف الربانية عن طريق إثارة الانفعالات كالخوف والترقب، والرضا والارتياح، كما تمتاز بالإقناع الفكري بموضوع القصة عن طريق الإيحاء وعن طريق التفكير والتأمل ().

المطلب الأول: معنى القصص القرآني لغة واصطلاحا وأنواعه.

اولا تعريف القصة لغة:

القَصُّ: فعل القاصّ إذا قَصَّ القِصَصَ، والقصّة معروفة. ويقال في رأْسه قِصّةٌ يعني الجملة من الكلام، ونحوُه قوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} (يوسف: ٣) أَي نُبَيّن لك أَحسن البيان. والقاصّ الذي يأْتي بالقِصّة من فَصِّها. ويقال قَصَصْت الشيء إِذا تتبّعْت أَثره شيئاً بعد شيءٍ ومنه قوله تعالى: {وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} (القصص: ١١) أَي اتّبعي أَثَرَه.

والقِصّة: الخبر وهو القَصَصُ، وقصّ عليّ خبَره يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً: أَوْرَدَه، والقِصَص بكسر القاف: جمع القِصّة التي تكتب وفي حديث غَسْل دَمِ الحيض فتقُصُّه بريقها أَي تعَضُّ موضعه من الثوب بأَسْنانها وريقها ليذهب أَثره كأَنه من القَصّ القطع أَو تتبُّع الأَثر، ومنه الحديث فجاء واقْتصّ أَثَرَ الدم وتقَصّصَ كلامَه حَفِظَه وتقَصّصَ الخبر تتبّعه والقِصّة الأَمرُ والحديثُ واقْتَصَصْت الحديث رَوَيْته على وجهه وقَصَّ عليه الخبَرَ قصصاً

والقصُّ اتِّباع الأَثر، يقال: خرج فلان قَصَصاً في أَثر فلان وقَصّاً وذلك إِذا اقْتَصَّ أَثره، وقيل: القاصُّ يَقُصُّ القَصَصَ لإِتْباعه خبراً بعد خبر وسَوْقِه الكلامَ سوقاً.

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): (قَصَّ) الْقَافُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتُهُ. وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ. وَمِنَ الْبَابِ الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ فَيُذْكَرُ (١).

قال الراغب الاصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): الْقَصُّ: تتبّع الأثر، يقال: قَصَصْتُ أثره، والْقَصَصُ: الأثر. قال تعالى:]فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً[(الكهف: ٦٤)،: {وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} (القصص: ١١)، والْقَصَصُ: الأخبار المتتبّعة، قال تعالى:]إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ[(آل عمران: ٦٢) (٢).

ثانيا: تعريف القصص اصطلاحا:

قصص القرآن: هو أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة - وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه (٣).

والقصص: الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضا. وقصص القرآن أصدق القصص؛ لقوله تعالى:]وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً[(النساء: ٨٧) وذلك لتمام مطابقتها على الواقع وأحسن القصص لقوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآن} (يوسف: ٣) وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى. وأنفع القصص، لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَاب} (يوسف: ١١١). وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق (٤).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل، سنة النشر: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مكان النشر: بيروت – لبنان، باب قص، ٥/ ١١.

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ، باب قصص، ٦٧١/١.

(٣) مباحث في علوم القرآن، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣١٦.

(٤) أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص٥٠.

وقصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الغابرة، وشأن النبوات السابقة والحوادث الواقعة، وأمور كثيرة أخرى، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وما حدث فيها. وتتبع آثار كل قوم، كما حكى القرآن الكريم عن الجميع صورة ناطقة كما كانوا عليه في عصورهم وحياتهم [١].

ثالثا: أنواع القصص في القرآن:

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن هذا النوع دعوة الأنبياء لقومهم والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها، وموقف المعاندين من قومهم لهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة كل من المؤمنين والمكذبين، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قصة نوح، وإبراهيم، وموسى وهارون، وعيسى، ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

النوع الثاني: قصص قرآني، وهذا النوع يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة طالوت وجالوت، وقصة ابني آدم، وقصة أهل الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة قارون، وقصة أصحاب السبت، وقصة مريم، وقصة الفيل وغير ذلك من القصص لما حدث في أمم سابقة.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالأحداث التي وقعت في زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، كغزوة بدر وأحد كما وردتا في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك كما وردتا في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب التي أوردها الله تعالى في سورة الأحزاب، وقصة الهجرة والإسراء ونحو ذلك مما حَدثَ في زمن المصطفى صلّى الله عليه وسلم[٢].

المطلب الثاني: فوائد القصص القرآني وأهدافه.

أولا: فوائد القصص القرآني.

(١) نفحات من علوم القرآن، المؤلف: محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٠٦.

(٢) ينظر: أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، ص ١٠٦.

وللقصص القرآني فوائد نجمل أهمها فيما يأتي:

١ - إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي من الأنبياء المرسلين، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء: ٢٥).

٢ - تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنُصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله، كما جاء في محكم التنزيل:]وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ[(هود: ١٢٠).

٣ - تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

٤ - إظهار صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

٥ - مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهُدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كما حكى القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (آل عمران: ٩٣).

٦ - والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس البشرية كما قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (يوسف: ١١١) (١).

٧ - بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ} (القمر: ٤ ٥).

٨ - بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} (هود: ١٠١).

٩ - بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين لقوله تعالى: {إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ} (القمر: ٣٤ ٣٥).

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ص ٣١٦. ونفحات من علوم القرآن، المؤلف: محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، ص ١٠٦.

١٠ - تسلية النبي r عما أصابه من المكذبين له، لقوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} (فاطر: ٢٥ ٢٦) (١).

١١ - ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد، لقوله تعالى: {فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} (الأنبياء: ٨٨).

١٢ - تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم لقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} (محمد: ١٠).

١٣ - إثبات رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}(هود: ٤٩)، وقوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} (إبراهيم: ٩) (٢).

ثانيا: أهداف القصص القرآني:

لا بد أن يلاحظ المتأمل لكتاب الله تعالى عنايته بالقصص حتى انها قد بثّت في ثنايا الكتاب الكريم بشكل بارز ملحوظ، وذلك لما يهدف إليه إيرادها من الحكم والأسرار الجليلة، نلخص جملة من أهمها فيما يلي:

أولا: الهدف الأكبر والأعظم للقصص في القرآن هو إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن وحي يوحى من الله تعالى، وذلك لأن علم الماضي قد ذهب واندثر، والنبي صلى الله عليه وسلم أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، وقومه كذلك أميون، لم ينشأ بين أهل الكتاب ولا كان ثمة مدرسة يتعلم منها هو أو أحد من قومه، ولا خالط أحدا من أهل العلم بالكتاب السابق ولا تلقى عن أحد منهم شيئا قط، فلما جاء بهذه الأخبار ينبئ بها نبأ الأنبياء مع أممهم، فيطابق ما كان عند أهل الكتاب صوابا لم يدخله خطأ، ويصحح ما كان عندهم دخله تغيير أو تبديل، ويخبر بوقائع لا يعلمها أهل الكتاب ولا ذكرت في تراثهم فكان كما قال تعالى في وصف القرآن: {مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} (المائدة: ٤٨). وهذا مع أن علماء أهل الكتاب

(١) أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص ٥٢.
(٢) ينظر: أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، ص ٥٢.

كانوا يخفون تلك العلوم التي عندهم ولا يطلعون أحدا عليها، فدل ذلك القصص على أنه لا يمكن إلا أن يكون تلقيا من عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الوجه من الإعجاز، وصرح به في مواضع متعددة، تأكيدا لإعجازه، وتأكيدا لتحدي المرتاب الشاك، والمنكر المعاند [١]. فنجده - مثلا - عقب ذكر قصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها يقول: {ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} (آل عمران: ٤٤).

ويقول تعالى في سورة هود: {تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (هود: ٤٩).

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ كتابا قط، ولا تعلم من عالم قط، وقومه كذلك أميون، وهو لم يشاهد تلك الحوادث ولا التقى بشخصيات تلك الوقائع التي قصها القرآن، بل قد تعرض للامتحان فيما يأتي به من قصص الغيب الماضي، فطرح عليه أهل الكتاب أسئلة مما يعلمونه مغيبا عنه فسألوه بواسطة أهل مكة عن أهل الكهف والروح وذي القرنين فأجابهم عن ذلك كله بدقة وتفصيل [٢].

ثانيا: بيان أن الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله في النهاية، ويهلك الكافرين المكذبين، ولا يخفى ما في ذلك من تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وتقوية نفوس المؤمنين وزجر الضالين المعاندين وزحزحتهم عن مواقفهم، فتتأثر النفوس كل نفس بحسب ما تحتاج إليه، إذ يتوالى عليها بيان نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ويتكرر رفع راية العدل، ومحق قوة الظلم من خلال وقائع القصص التي يذكرها القرآن.

ففي سورة هود يقول الله تعالى هذه الآيات تعقيبا على قصص الأنبياء: {ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ وَحَصِيدٌ. وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ، وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} (سورة هود: ١٠٠ – ١٠٣).

(١) علوم القرآن الكريم، المؤلف: نور الدين محمد عتر الحلبي، الناشر: مطبعة الصباح – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٢٤٠.

(٢) ينظر: علوم القرآن الكريم، ص ٢٤٢.

وفي سورة غافر يقول تعالى عقب قصة موسى وفرعون ومؤمن آل فرعون وإنجاء الله موسى والمؤمن وإهلاك فرعون: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}. (غافر: ٥١ - ٥٢).

ثالثا: بث المعاني الدينية الواضحة وترسيخ قواعد الدين، بما يقع في ثنايا القصص من حوار، ومواعظ وحجاج، يصغي إليها السامع، ويتابعها القارئ، سواء كان موافقا أو مخالفا مؤمنا أو كافرا، لما في طبيعة القصص من التشويق والإثارة. تأمل ما يلقيه مؤمن آل فرعون لما خشي على موسى من طغيان فرعون وبطشه: {وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ}. . . الآيات إلى آخر القصة في سورة غافر.

ففي قصة موسى مع فرعون هنا برزت التوجيهات على لسان الرجل المؤمن يقرر أمورا على غاية من الأهمية وهي جميعها معان دينية، وتوجيهات صريحة تضمنها الحوار القصصي، مما يجعل وقعها في النفوس أبلغ وأعمق [١].

رابعا: في قصص القرآن دحض ادعاءات تزعم في نشأة الأديان أن الإنسان الأول كان في ظروف الطبيعة القاسية والغابات ورؤوس الجبال، فجرَّه الخوف من مظاهر الطبيعة وعجزه عن تفسيرها إلى أن يتصور لكل منها إلها، فجعل للريح إلها، وللمطر إلها، وللخصب إلها. . . وصنع التماثيل لهذه الآلهة وعبدها. وكان ذلك

برأيهم قبل ظهور الأديان السماوية، ثم تطور الحال إلى الأديان السماوية وإلى توحيد الله تعالى. إن القرآن الكريم الذي وصفه الحديث: (فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم. .)[٢] ليعطينا الأجوبة الكثيرة لإبطال هذا الزعم الوهمي، نقتصر على ما يلي:

١ - إن الدين السماوي المبني على توحيد الله قد وجد مع وجود الإنسان، فحين أهبط الله آدم وزوجته وإبليس إلى الأرض قال لهم: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: ٣٨).

ثم كان موقف الأنبياء جميعهم على ضد ما توهمه هؤلاء، فقد قاموا كلهم بإبطال العادات الفاسدة، والعقائد الزائغة التي تفشّت في المجتمع بسبب البعد عن العلم. وبسبب اتّباع الأهواء.

(١) المصدر نفسه، ص٢٤٢.

(٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب فضل القرآن، حديث رقم (٢٩٠٦)، ١٧٢/٥.

. . قال تعالى: {وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ} (الزخرف: ٢٣).

فبنى الأنبياء عليهم السلام دعوتهم على نبذ التقليد لكي يتحرر العقل ويعمل ببصيرته النافذة، فيتوصل إلى الحق ويعتصم به.

٢ - إن الأنبياء - كما قصّ القرآن علينا - إنما دعوا قومهم إلى الله تعالى وتوحيده بالحجج القاطعة والأدلة الساطعة، وعلى أوجه متنوعة كثيرة يشغل استيفاؤها بحثا كبيرا. فهذا نبي الله نوح عليه السلام يقول لقومه: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً. وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً. وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً} (نوح: ١٥ ١٨). وإبراهيم عليه السلام يقول لمن حاجّه في ربه: {قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. قالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ. قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}(البقرة: ٢٥٨). وموسى عليه السلام يقول لفرعون عند ما سأله قالَ: {فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى} (طه: ٥٠).

والقرآن حافل بالحجج، كقوله تعالى: {لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (الأنبياء: ٢٢). وقوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ} (الطور: ٢٥).

وغير ذلك كثير جدا، يحكم بالبطلان على من زعم تأثر العقيدة أو الدين في القرآن وفي دعوة الأنبياء بعادة أو عرف أو أثر من المجتمع. . . ويثبت أن القضية إنما هي قضية حجة وبرهان، فنقول لمن خالف القرآن في الإيمان بالله وتوحيده ما قاله القرآن وتحدّى به كل مخالف: قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [١].

المطلب الثالث: أغراض القصص القرآني

للقصص في القرآن الكريم أغراض كثيرة، منها إثبات الوحي والرسالة، وإثبات وحدانية الله، وتوحد الأديان في أساسها، والإنذار والتبشير، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشر وغير ذلك.

(١) علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، ص٢٤٥.

ويشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص التي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة قد يتعدد ذكرها في القرآن لِحِكَم كثيرة.

وسأبين في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - أغراض القصص القرآني والحِكم والاسرار من تكرار القصص في القرآن.

فالقصة القرآنية ليست عملاً فنيًا مطلقًا مجردًا عن الأغراض التوجيهية، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق أغراضه الدينية الربانية، فهي إحدى الوسائل لإبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها. ومن أهم أغراض القصة القرآنية ما يلي:

١ - من أغراض القصة إثبات الوحي والرسالة. فمحمد - صلى الله عليه وسلم - لم يكن كاتبًا ولا قارئًا، ولا عرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى؛ ثم جاءت هذه القصص في القرآن - وبعضها جاء في دقة وإسهاب - كقصص إبراهيم، ويوسف وموسى وعيسى. فورودها في القرآن اتخذ دليلا على وحي يوحى.

والقرآن ينص على هذا الغرض نصًّا في مقدمات بعض القصص أو في ذيولها.

جاء في أول سورة يوسف: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} (يوسف: ٢ ٣).

وجاء في سورة القصص قبل عرض قصة موسى: {نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (القصص: ٣). وبعد انتهائها: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (القصص: ٤٤ ٤٦) [(١)].

٢ - ومن أغراض القصة: بيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح إلى عهد محمد. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع؛ وكثيرًا ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتؤيد هذه الحقيقة. ولما كان هذا غرضًا أساسيًّا في الدعوة، فقد تكرر مجيء هذه القصص، على هذا النحو، مع اختلاف في التعبير، لتثبيت هذه الحقيقة وتوكيدها في النفوس. مثلا ما جاء في سورة الأنبياء، قوله تعالى: {وَلَقَدْ

(١) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الطبعة الشرعية السابعة عشرة، ص ١٤٤.

آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ، وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} (الأنبياء: ٤٨ ٥٠).

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. . .

إلى قوله: {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ، وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (الأنبياء: ٥١ ٧٣).

{وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ، وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (الأنبياء: ٧٤ ٧٥). {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} (الأنبياء: ٧٦ ٧٧).

{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ، وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} (الأنبياء: ٧٨ ٨٠).

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ، وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} (الأنبياء: ٨١ ٨٢).

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} (٨٣ ٨٤).

{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ} (الأنبياء: ٨٥٨٦).

{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} (الأنبياء: ٨٧ ٨٨).

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}

(الأنبياء: ٨٩ ٩٠) [١].

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: ٩١).

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء: ٩٢). وهذا هو الغرض الأصيل، من هذا الاستعراض الطويل. وغيره من الأغراض الأخرى، يأتي عرضًا وفي ثناياه.

٣ - ومن أغراض القصة: بيان أن الدين كله موحد الأساس - فضلا على أنه كله من عند إله واحد - وتبعًا لهذا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة كذلك. مكررة فيها العقيدة الأساسية، وهي الإيمان بالله الواحد على نحو ما جاء في سورة «الأعراف»:

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} . . . إلخ. (الأعراف: ٥٩).

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} . . . إلخ. (الأعراف: ٦٥).

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} . . . إلخ. (الأعراف: ٧٣).

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} . . . إلخ. (الأعراف: ٨٥).

فهذا التوحيد لأساس العقيدة، يشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الأديان، وترد قصصهم مجتمعة في هذا السياق. لتأكيد ذلك الغرض الخاص [٢].

٤ - ومن أغراض القصة أيضا: بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، وأن الاستقبال قومهم لهم متشابه - فضلًا على أن الدين من عند إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد - وتبعًا لهذا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة أيضًا، مكررة فيها طريقة الدعوة، على نحو ما جاء في سورة «هود»: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ، فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} . . . إلى أن يقول: {وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} وإلى أن يقولوا له: {يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن، ص ١٤٦ ١٤٨.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن، ص١٤٩.

فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} . . إلخ. (هود: ٢٥٣٢).

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ، يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ} . . إلى قوله: {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ، إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ} . . . إلخ(هود: ٥٠ - ٥٥) [١].

٥ - ومن أغراض القصة: بيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة؛ وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان، فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} (الأعلى: ١٨١٩). {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} (النجم: ٣٦ ٣٨)، {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (آل عمران: ٦٨)، {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ}(الحج: ٧٨)، {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. . . } إلى أن يقول: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} (المائدة: ٤٦ ٤٨) [٢].

٦ - ومن أغراض القصة: بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتًا لمحمد، وتأثيرًا في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} . وتبعًا لهذا الغرض كانت ترد قصص الأنبياء مجتمعة، مختومة بمصارع من كذبوهم. ويتكرر بهذا عرض القصص كما جاء في سورة «العنكبوت»: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} (العنكبوت: ١٤١٥).

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٩ ١٥٠.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن، ص١٥١.

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إلى أن يقول: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} . . . إلخ. (العنكبوت: ١٦٢٤).

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. . . } إلى أن يقول: {إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (العنكبوت: ٢٨٣٥). {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخر ولا تعثوا في الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (العنكبوت: ٣٦٣٧)

{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} (العنكبوت: ٣٨). {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} . (العنكبوت: ٣٩). {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} . (العنكبوت: ٤٠). وتلك هي النهاية الواحدة للمكذبين [١].

٧ - ومن أغراض القصة: تصديق التبشير والتحذير، وعرض نموذج واقع من هذا التصديق كالذي جاء في سورة «الحجر»: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ. . . } . (الحجر: ٤٩٥٠).

فتصديقًا لهذا وذلك جاءت القصص على النحو التالي: {وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ} . . . إلخ. (الحجر: ٥١٥٣).

وفي هذه القصة تبدو «الرحمة». ثم: {فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ، وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ، وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ. . . } إلخ. (الحجر: ٦١٦٦).

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥١ ١٥٣.

وفي هذه القصة تبدو «الرحمة» في جانب لوط، ويبدو «العذاب الأليم» في جانب قومه المهلكين. ثم: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ، وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ، وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} . (الحجر: ٨٠٨٤).

وفي هذه القصة يبدو «العذاب الأليم» للمكذبين. وهكذا يصدق الأنبياء، ويبدو صدقه في هذا القصص الواقع، بهذا الترتيب [١].

٨ - ومن أغراض القصة: بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه، كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى، وزكريا ويونس وموسى، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في موقف شتى، ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضع عرضًا.

٩ - ومن أغراض القصة: تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير! ولما كان هذا موضوعًا خالدًا، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى.

١٠ - وللقصة أغراض أخرى متفرقة. منها: بيان قدرة الله على الخوارق: كقصة خلق آدم. وقصة مولد عيسى. وقصة إبراهيم والطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل منه جزءًا. وقصة {الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} . (البقرة: ٢٥٩)، وقد أحياه الله بعد موته مئة عام.

وبيان عاقبة الطيبة والصلاح، وعاقبة الشر والإفساد. وكقصة ابني آدم. وقصة صاحب الجنتين. وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم. وقصة سد مأرب. وقصة أصحاب الأخدود. إلى آخر هذه الأغراض الوعظية، التي كانت تساق لها القصص فتفي بمغزاها [٢].

المبحث الثاني: ابن كثير ومنهجه في عرض القصص القرآني.

إن موضوع قصص الانبياء كان موضع اهتمام كُتّاب السيرة والتاريخ المسلمين منذ عصر التدوين إلى عصر ابن كثير.

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن، ص ١٥٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥٣ ١٥٥.

وعلينا أن نتأمل منهج ابن كثير في قصص الانبياء لنرى ما قدمه من جديد وما تفرد به من خصائص، مما يعد تجديدا في هذا الجانب من التاريخ.

فالله تبارك وتعالى حفظ الدين وكتابه العظيم، وهيأ سبحانه لحفظه رجالاً، ينافحون عن الدين وينقلونه إلينا صافياً نقياً، ومن هؤلاء الأئمة الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي (رحمه الله)، الذي سنستعرض في هذا المبحث شيئاً من حياته رحمه الله ومنهجه في عرض القصص القرآن.

المطلب الأول: ترجمة ابن كثير:

اسمه ونسبه ومولده:

هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، الشيخ الإمام العلامة عماد الدين أبو الفداء ابن الشيخ شهاب الدين أبي حفص القرشي البصروي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن كثير، وُلد رحمه الله باتفاق المؤرخين عام سَبْعمِائة للهجرة، وُلد بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق، ومات والده وهو في الرابعة{، وقال ابن العماد: «ولما بلغ السابعة من عمره توفي والده»، وقال ابن حجر رحمه الله: «مَات أَبوهُ سنة ٧٠٣هـ، وَنَشَأ هُوَ بِدِمَشْق»، وقيل: ولد في قرية صغيرة من قرى مدينة بصرى من أرض حوران في بلاد الشام، اسمها «مجدل» وذلك سنة سبعمائة من الهجرة، لما كان أبوه خطيبا بها، وقال الزركلي: «ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، تناقل الناس تصانيفه في حياته»[(١)].

نشأته وحياته، ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

نشأ رحمه الله في بيت متدين فقد كان والده خطيباً كما تقدم، وكان ذلك له الأثر الكبير في نبوغه، ونشأ يتيماً حيث مات والده وهو في الرابعة وقيل السابعة من عمره كما تقدم، وتحولت

(١) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، (٤٤٥/١). وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، (٦٧/١). والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م، (٣٢٠/١).

أسرته إلى دمشق، ونزلت في الدار المجاورة للمدرسة النورية[١]، رباه أخوه الشيخ عبد الوهاب وبه تفقه في مبدأ أمره[٢]. ويحدثنا عن نفسه رحمه الله فيقول: (وكانت وفاة الوالد في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة، في قرية مجيدل القرية، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتونة، وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق صحبة الأخ كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شفوقاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر، والله أعلم)[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله مبيناً مكانته العلمية: (قدم دمشق وله نحو سبع سنين سنة ست وسبعمائة مع أخيه بعد موت أبيه وحفظ التنبيه، وعرضه سنة ثماني عشرة، وحفظ مختصر ابن الحاجب، وتفقه بالبرهان الفزاري والكمال ابن قاضي شهبة، ثم صاهر المزي، وصحب ابن تيمية، وقرأ في الأصول على الأصبهاني، وألف في صغره أحكام التنبيه، فيقال: إن شيخه البرهان أعجبه وأثنى عليه. . . وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، وكان يشارك في العربية ويستحضر التنبيه ويكرر عليه إلى آخر وقت وينظم نظماً وسطاً، قال ابن حجى: ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه، وقد لازمته ست سنين، وقد ذكره الذهبي في معجمه المختص فقال: الإمام المحدث المفتي البارع، ووصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة منهم الحسيني وشيخنا العراقي وغيرهما، وسمع من الحجار والقاسم بن عساكر وغيرهما، ولازم الحافظ المزي وتزوج بابنته، وسمع عليه أكثر تصانيفه، وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية فأكثر عنه، وصنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام. وقال ابن حبيب فيه: إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بقوله وشنف، وحدث

(١) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، (٦٨/١).

(٢) ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٤١٥/٢).

(٣) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، (١٨/ ٤٢).

وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط)[1].

ثناء العلماء عليه:

قال عنه ابن العماد رحمه الله: (وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، حفظ «التنبيه» وعرضه سنة ثمان عشرة، وحفظ «مختصر ابن الحاجب»، ثم أقبل على الحديث، فاشتغل بمطالعة متونه ورجاله، فسمع «الموطأ للإمام مالك»، و «الجامع الصحيح للإمام البخاري»، و «الجامع الصحيح للإمام مسلم»، و «سنن الدارقطني»، وشيئاً من «السنن الكبرى للبيهقي»، وسمع «مسند الشافعي»، وغير ذلك من المصنفات الحديثية وهو لا يزال في مقتبل العمر)[2].

وقال الذهبي رحمه الله: (الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي، ولد بعد السبعمائة أو فيها وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، وله عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم)[3].

وقال عنه أيضاً: (الإمام الفقيه المحدث البارع عماد الدين، درس الفقه وأفتى وتفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة)[4].

وقال ابن تغري: (الحافظ المفسر المؤرخ المعروف بابن كثير،. . . ، دأب وحصل وكتب، وبرع في الفقه والتفسير والحديث،. . . ، وجمع وصنف ودرس وحدث وألف، وكان له إطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذَلِكَ)[5].

وقال السيوطي رحمه الله: (الإِمَام الْمُحدث الْحَافِظ ذُو الْفَضَائِل،. . . ، لَهُ التَّفْسِير الَّذِي لم يؤلف على نمطه مثله،. . . ، الْعُمْدَة فِي علم الحَدِيث معرفَة صَحِيح الحَدِيث وسقيمه وَعلله وَاخْتِلَاف طرقه وَرِجَاله جرحا وتعديلاً)[6].

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، (١/ ٣٩).

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، (١/ ٦٨).

(٣) تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (٤/ ٢٠١).

(٤) نقلاً عن المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، (٢/ ٤١٦).

(٥) المصدر نفسه، (٢/ ٤١٤ - ٤١٥).

(٦) طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣ (ص٥٣٤).

ومن قرأ في كتب هذا الإمام عرف قدره وعلو مكانته في العلم ورسوخه رحمه الله رحمة واسعة.

شيوخه:

تلقى العلم رحمه الله تعالى على يد ثلة من أهل العلم والتقى منهم:

عيسى المطعم وأحمد بن الشيخة، والقاسم بن عساكر، وابن الشيرازي، وَإِسْحَاق الْآمِدِيّ، ومحمد بن الزراد، وأجاز له من مصر أبو الفتح الدبوسي، وعلي بن عمر الواني، ويوسف الختني وغر واحد واحد، ولازم الحافظ جمال الدين المزي كثيراً، وبه انتفع، وتخرج، وتزوج بابنته، وقرأ أيضاً عَلَى ابن تيمية كثيراً، وسمع منهم ومن غيرهم(١).

مؤلفاته:

ساهم رحمه الله تعالى في خدمة الدين بكتابة كثير من المؤلفات المفيدة التي انتفع بها الناس من هذه الكتب ما يلي:

١ - تفسير القرآن العظيم.

٢ - طبقات الفقهاء.

٣ - ومناقب الشافعي.

٤ - البداية والنهاية.

٥ - اختصار علوم الحديث.

٦ - التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل.

٧ - خرج أحاديث مختصر ابن الحاجب.

٨ - وَشرع فِي كتاب كَبِير فِي الْأَحْكَام لم يتمه.

٩ - ورتب مُسْند أَحْمد على الْحُرُوف وَضم إِلَيْهِ زَوَائِد الطَّبَرَانِيّ وَأبي يعلى(٢). وغيرها.

(١) ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٢/ ٤١٥)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/٤٤٥)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، (١/ ٦٨).

(٢) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/٤٤٥)، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٢/ ٤١٥)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٥٣٤)، والأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠ - ٣٢١).

وفاته[1]:

توفي في شهر شعبان من سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وَكَانَ قد أضرّ فِي أَوَاخِر عمره، ودفن عند شيخه ابن تيمية في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق، ورثاه بعض طلبته:

لفقدك طلاَّب العلوم تأسفوا وجادوا بدمْع لا يبيد غزيرِ
ولو مزجُوا ماء المدامع بالدِّما لكان قليلاً فيك يا ابن كثيرِ.

المطلب الثاني: منهج ابن كثير في عرض قصص القرآن:

إن الناظر في تفسير ابن كثير رحمه الله يعلم رسوخه في العلم، فقد امتاز هذا التفسير بميزات متعددة في عرض قصص القرآن توضح منهج الحافظ ابن كثير في كتابه فمنها:

١ - إن ابن كثير قد جعل القرآن الكريم مصدره الاول في تاريخ الانبياء، فعول على طريقته والتزم بأخباره، وقطع بأن كل ما يخالفه من أقوال أهل الكتاب فهو كذب وبهتان، وذلك الحق الذي يقطع به كل مسلم [2].

٢ - يبدأ ابن كثير في كل قصة من قصص الانبياء بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بها باستقصاء من كل سور القرآن، حسب ترتيب السور، كما في قصة آدم وقصة صالح وقصة ابراهيم وقصة شعيب (عليهم السلام) وغيرها، ثم يجنح إلى جانب التفسير فيستخرج دلائل الآيات الكريمة بمنهجه المشهور، من تفسير القرآن، ثم بالسنة والاثر، وبعد ذلك يجمع ابن كثير الاحاديث المروية في قصص الانبياء بأسانيدها من الصحاح والمسانيد، ولا يفوته أن يخرج تلك الاحاديث ويدلنا على حظها من الثبوت، ثم يتجه إلى روايات المؤرخين وعلماء السير، يختار منها ما يساير حقائق القرآن والسنة وآراء المفسرين وأبرز من ينقل عنهم ابن كثير: محمد ابن إسحق في كتاب « المبتدأ « وابن جرير في تاريخه وتفسيره، وابن عساكر في تاريخه، وتلك الروايات لا تمثل في الكتاب لحمة ولا سدى، إنما هي تأييد للاخبار الاسلامية أو تفصيل لها حينما يجنح الخيال

(١) ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٢/ ٤١٥)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤٤٦/١)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، (١/ ٦٨).

(٢) ينظر: قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، (١١/١).

إلى الاستقصاء ووصل الحلقات بعضها ببعض، وأغلب تلك الروايات منقول عن علماء أهل الكتاب، وكثيرا ما يعلق عليه ابن كثير بأنه غريب(١).

٣ - من مصادر ابن كثير في قصص الانبياء أخبار أهل الكتاب، المتلقاة من التوراة التي بأيديهم، وقد وقف ابن كثير من هذا المصدر موقفا عدلا، فلم يهمله بالكلية مادام هناك من يتطلع إليه ومن ينقل عنه، فأشار إلى طرف يسير من أخبار أهل الكتاب مقترنة ببيان رأيه فيها، وهو يرى أن التوراة إن خالفت الحق الذي بأيدينا من الكتاب والسنة، فهي باطل يجب رده(٢).

فعندما ذكر عن التوراة أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها، أعقبه بقوله: (وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم، وتحريف وخطأ في التعريب فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يتيسر لكل أحد، ولا سيما ممن لا يكاد يعرف كلام العرب جيدا، ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا، فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى، وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله: {يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما} فهذا لا يرد لغيره من الكلام) (٣).

وقد نبه ابن كثير عن تحريف التوراة في مواضع من كتابه (قصص الأنبياء)، فهو يقول عن قابيل: (والذي رأيته في الكتاب الذي بأيدي أهل الكتاب الذي يزعمون أنه التوراة: أن الله عزوجل أجله وأنظره وأنه سكن في أرض (نود) في شرق عدن) (٤)، وبعد أن يذكر تواريخ أهل الكتاب عن ذرية قابيل يقول: (هذا مضمون ما في كتابهم صريحا، وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر، كما ذكره غير واحد من العلماء طاعنين عليهم في ذلك، والظاهر أنها مقحمة فيها، ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير، وفيها غلط كثير)(٥). وفى موضع آخر يقول: (فكيف يترك هذا ويذهل عنه، ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها) (٦).

(١) ينظر: المصدر نفسه (١١/١).
(٢) ينظر: المصدر نفسه (١٢/١).
(٣) ينظر: المصدر نفسه، (٢٢/١).
(٤) قصص الأنبياء، لابن كثير الدمشقي، (٦٠/١).
(٥) المصدر نفسه (٦٢/١).
(٦) المصدر نفسه (١٠٧/١).

وبذلك وضع ابن كثير أخبار أهل لكتاب في موضعها الصحيح، يستأنس بها حين تطابق الحق الذي بأيدينا، وينبه على تحريفها وكذبها حين تخالف، فإن لم يكن لها دليل في أخبارنا واحتملت الصدق أوردها متوقفا، وقد أمرنا أن لا يصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم.

ومن هنا فقد نجا ابن كثير مما تورط فيه المؤرخون من قبله من الاسراف في رواية الاسرائيليات والتعويل عليها، واحتفظ بصورته الإسلامية المشرقة، وجعل قارئه يطمئن إلى مصادره ويتبين قيمتها(١).

٤ - إحاطة ابن كثير بالأخبار والاستقصاء في روايتها من طرقها، مما يجعل كتابه (قصص الأنبياء) أوفى مرجع في هذا القصص، وقد أعانه على ذلك عصره المتأخر، إذ عاش في القرن الثامن، فتمكن أن يجيل النظر فيما سلف من تراث، فهو لا يذكر قولا إلا ومعه دليله ولا رواية إلا ويبين حالها من الصحة أو الضعف وهو وإن تسامح في إيراد بعض الاخبار الواهية، إلا أنه أخلى تبعته بالحكم عليها وفق أصول الرواية(٢).

٥ - الاهتمام بمقاصد القرآن الكريم في إبراز العظة وجلاء العبرة في هذا القصص وما دام ابن كثير مفسرا متقنا فقد استطاع أن يلفت النظر إلى كثير من مواطن العبرة في آيات الانبياء، وأن يجعل من عرض قصصهم وسيلة لتقرير كثير من الاحكام والآداب(٣).

ومن ذلك ما جاء في ذكر قصة خبر المائدة، حيث ذكر ابن كثير حديثاً عن مجاهد، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مرَّ عيسى عليه السلام على مدينة خربة، فأعجبه البنيان فقال: أي رب مُرْهذه المدينة أن تجيبني، فأوحى الله إلى المدينة: أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى، قال فنادت المدينة: عيسى حبيبي وما تريد مني؟ قال: ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك؟ قالت: حبيبي جاء وعد ربك الحق فيبست أشجاري ونشفت أنهاري وخربت قصوري ومات سكاني، قال: فأين أموالهم؟ فقالت: جمعوها من الحلال والحرام موضوعة في بطني، لله ميراث السموات والأرض، قال: فنادى عيسى عليه السلام: تعجبت من ثلاث أناس: طالب الدنيا والموت يطلبه، وباني القصور والقبر منزله، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه! ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع، تجمع مالك لمن لا

(١) ينظر: المصدر نفسه (١٤/١).
(٢) ينظر: المصدر نفسه (١٤/١).
(٣) ينظر: المصدر نفسه، (١٤/١).

يحمدك وتقدم على رب لا يعذرك، إنما أنت عبد بطنك وشهوتك، وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك، وأنت يابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك). ثم قال ابن كثير: هذا حديث غريب جدا وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك(١).

٦ - عني ابن كثير بدفع الشبه التي أثارها كثير من المفسرين والمتلقين عن أهل للكتاب، واستطاع بمقدرته في التفسير وقوته في الاستدلال أن يوضح جانب الحق وأن يرد كثيرا من الآراء الفاسدة التي لا تتفق مع كرامة الانبياء.

ومن ذلك تأويل الآيات التي ثار حولها الخلاف وكثرت الاقاويل، كموقفه من تأويل قوله سبحانه على لسان لوط: {هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} (هود: ٧٨) وقوله عن يوسف: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها} (يوسف: ٢٤) وكذلك بيانه لقول الخليل عليه السلام: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا} (الأنبياء: ٦٣) وكذلك فصله في احتجاج موسى وآدم عليه السلام، وغير ذلك(٢). وهذا جانب لم يهتم به أحد من المؤرخين من قبل، إنما دفع ابن كثير إليه إمامته في التفسير واهتمامه بمقاصد الهداية من قصص الانبياء.

٧ - يذكر ابن كثير الروايات الإسرائيلية للاستشهاد، لا للاعتضاد، مع بيان خطئها وخطرها والتحذير منها، ومن ذلك ما جاء في قصة موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: {قالُوا يَا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ} (المائدة: ٢٢)، حيث قال ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثارا فيها مجازفات كثيرة باطلة، يدل العقل والنقل على خلافها. . . وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها. . . إلى أن قال: ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات، وكل هذه من وضع جُهال بني إسرائيل، فإن الاخبار الكاذبة قد كثرت عندهم، ولا تمييز لهم بين صحتها وباطلها(٣).

ومن ذلك أيضا ما جاء في قصة إلياس (عليه السلام)، حيث ذكر ابن كثير الروايات الواردة في وفاته، ثم قال: (ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله تعالى أعلم) (٤).

(١) ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير، (٢/٤٤٦، ٤٤٥).
(٢) ينظر: المصدر نفسه (١/١٥).
(٣) ينظر: المصدر نفسه، (٢/٩٧ - ٩٩).
(٤) ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٢/٢٤٣).

٨ - يقوم ابن كثير بذكر المناسبات بين القصص، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. . . إلى قوله: وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} (مريم: الآيات ١٦٢١)، حيث قال: (لما ذكر تعالى قصة زكريا، عليه السلام، وأنه أوجد منه، في حال كبره وعقم زوجته، ولدا زكيا طاهرا مباركا - عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى، عليهما السلام، منها من غير أب، فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة ؛ ولهذا ذكرهما في آل عمران وهاهنا وفي سورة الأنبياء، يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى، ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه، وأنه على ما يشاء قادر، فقال: { وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ })[١].

ومن ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا وَجَعَلْناها وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ} (الأنبياء: ٩١)، قال: (هكذا قرن تعالى قصة مريم وابنها عيسى، عليه السلام، بقصة زكريا وابنه يحيى، عليهما السلام، فيذكر أولا قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك موطئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر. هكذا وقع في سورة «آل عمران»، وفي سورة «مريم»، وهاهنا ذكر قصة زكريا، ثم أتبعها بقصة مريم، فقوله: { وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها} يَعْنِي: مَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} } التَّحْرِيمِ: ١٢{)[٢].

وفي الختام أحمد الله تعالى، وأشكره، وأثني عليه الخير كله على ما مَنَّ به عليَّ، ويسر وأعان على إتمام هذا البحث.

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، (٥/٢١٨ - ٢١٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم، (٥/٣٧١).

الخاتمة

أحمدُ الله سبحانه وتعالى على ما يسَّرهُ لي جمعه في هذا البحث المتواضع، هذا وقد توصلت الى خلاصة وهي:

١) إن ابن كثير قد جعل القرآن الكريم مصدره الاول في تاريخ الانبياء، فعَوَّل على طريقته والتزم بأخباره، وقطع بأن كل ما يخالفه من أقوال أهل الكتاب فهو كذب وبهتان، وذلك الحق الذي يقطع به كل مسلم.

٢) يبدأ ابن كثير في كل قصة من قصص الانبياء بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بها باستقصاء من كل سور القرآن، حسب ترتيب السور، ثم يجنح إلى جانب التفسير فيستخرج دلائل الآيات الكريمة بمنهجه المشهور، من تفسير القرآن، ثم بالسنة والاثر.

٣) يتجه ابن كثير في منهجه في عرض القصص إلى روايات المؤرخين وعلماء السير، يختار منها ما يساير حقائق القرآن والسنة وآراء المفسرين وأبرز من ينقل عنهم: محمد ابن إسحق في كتاب (المبتدأ) وابن جرير في تاريخه وتفسيره، وابن عساكر في تاريخه.

٤) من مصادر ابن كثير في قصص الأنبياء: أخبار أهل الكتاب، المتلقاة من التوراة التي بأيديهم، وقد وقف ابن كثير من هذا المصدر موقفا عدلا، فلم يهمله بالكلية مادام هناك من يتطلع إليه ومن ينقل عنه، فأشار ابن كثير إلى طرف يسير من أخبار أهل الكتاب مقترنة ببيان رأيه فيها، وهو يرى أن التوراة إن خالفت الحق الذي بأيدينا من الكتاب والسنة، فهي باطل يجب رده.

٥) عني ابن كثير بدفع الشبه التي أثارها كثير من المفسرين والمتلقين عن أهل للكتاب، واستطاع بمقدرته في التفسير وقوته في الاستدلال أن يوضح جانب الحق وأن يرد كثيرا من الآراء الفاسدة التي لا تتفق مع كرامة الانبياء.

٦) يذكر ابن كثير الروايات الإسرائيلية للاستشهاد لا للإعتضاد، مع بيان خطئها وخطرها والتحذير منها.

٧) إهتمامه بمناقشة أقوال المفسرين وأسانيدها، وبيان الصحيح والضعيف والراجح منها.

المصادر

· القرآن الكريم.

١. أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٣. إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٥. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، المؤلف: عاطف السيد.

٧. التصور الفني في القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الطبقة الشرعية السابعة عشرة.

٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٩. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، سنة النشر: ٢٠٠١م.

١٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن

حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تح: محمود الأرنـاؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٣. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٤. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٥. قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

١٦. اللآلئ الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين، مطبعة دار التأليف مصر.

١٧. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٨. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٩. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل، سنة النشر: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مكان النشر: بيروت – لبنان.

٢٠. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٢١. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري

الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.